الفصل الثانـــى

سعد زغلول ومدرسة الحقوق

- اهتمام سعد بالمدرسة خلال رئاسته لنظارة المعارف .
- محاولات سعد اعتبار اللغة العربية لغة التدريس بالمدرسة وتعيين مدرسين مصريين بها.
- موقف سعد من الطلاب المنتمين للحزب الوطنى.

الفصل الثانى

" سعد زغلول والمدرســـة "

اهتم سعد زغلول خلال رئاسته لنظارة المعارف التى استمرت حوالى اربع سنوات (اكتوبر ١٩٠٦ – فبراير ١٩١٠) بمدرسة الحقوق[١] فقدم إلى مجلس الشورى مشروعا بتعديل مواد الدراسة فيها، ووافق عليه المجلس فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٩. مما اباح دخول امتحانات المدرسة لجميع الطلاب سواء اكانوا ممن تلقوا دروسهم فى المدرسة أم من المنتسبين من الخارج.[٢]

ولما كان موضوع تعريب التعليم من المسائل المثارة بشدة بين صفوف الوطنيين والذى تصارعت فيه القوى انوطنيةمع سلطات الاحتلال خاصة وانه قد ظهر بين المصريين من تمرس على دراسة القانون ويتسم بالكفاءة لشغل هذا العمل[٣] فقد صرح سعد زغلول امام المجلس بأنه شرع فى تعيين مدرسين مصريين للعمل بالمدرسة على أن يقوم بعضهم بالتدريس باللغة العربية.[٤] ولما تمسك المستشار القضائى بتفضيل تعيين احد الاجانب فى احدى الوظائف الخالية بالمدرسة اعترض سعد زغلول على ذلك بحجه أن المدرسة تابعة لنظارة المعارف[٥] وليس لنظارة الحقانية، وأنه اعرف بمواطنيه س المستشار القضائى لانه اشترك فى هذا العمل مع بعضهم، وسمع البعض الآخر يترافع امامه[٦] ، وقام سعد بترشيح على ابو الفتوح وكيل النائب العمومى بمحكمة الاستئناف للانتداب فى هذه الوظيفة، ولكن نظارة الحقانية اعترضت على ندبه بحجة ان انتداب رجال المحاكم للتدريس مضر باعمالهم فى هذه المحاكم[٧]

---

[١] من المعروف ان سعدا درس الحقوق فى جامعة باريس بتشجيع من الاميرة نازلى فاضل.

[٢] انظر الملحق رقم (٦) وانظر ايضا. دار الوثائق: محافظ عابدين قرار رقم ١٤٤٤ بشان الترخيص للطلبه الخارجين عن مدرسة الحقوق الخديوية بتأدية امتحان آخر العام.

[٣] ذكر سعد زغلول من هؤلاء على ابو الفتوح وكيل النائب العمومى بمحكمة الاستئناف، انظر مذكرات سعد زغلول ، جـ٢ ، ص ٦٤٣.

[٤] محاضر مجلس شورى القوانين ١٩٠٩ – ١٩١٠ محضر جلسة ١٧ نوفمبر ١٩٠٩ ومذكرات سعد زغلول، جـ١، ص ٥٢٨.

[٥] ظلت المدرسة تابعة لنظارة المعارف حتى عام ١٩١٢ حيث انتقلت تبعتها إلى الحقانية، وفى عام ١٩٢٣ اعيدت إلى المعارف.

[٦] من المعروف ان سعدا عمل بالمحاماه فى الفترة من فبراير ١٨٨٤ وحتى يونيو ١٨٩٢ كما عمل بالقضاء قبل ان يحصل على ليسانس الحقوق نظرا لان العمل بالمحاكم فى ذلك الوقت لم يكن يتطلب مؤهلا قانونيا بقدر ما يعتمد على البلاغة، وحسن اللغة.

– عبد الخالق لاشين: سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤، جـ١ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠، ص ١٣٣.

[٧] مذكرات سعد زغلول ، جـ٢ ، ص ٦٤٣ – ٦٤٤

ونتيجة للعوائق التى وضعت لتعيين اساتذة وطنيين فى هذه المدرسة طالب سعد بابداء العلة فى ذلك[١] وكان رد جورست ان العربية لاتصلح لتدريس علم الحقوق[٢]، كما انه لايوجد اساتذة اكفاء من المصريين يصلحون لتدريس هذا العلم.

ولما كان عدم وجود مؤلفات رصينة فى القانون باللغة العربية يعوق فكرة التدريس بهذه اللغة فى مدرسة الحقوق فقد اقترح سعد ترجمة امهات الكتب فى القانون إلى اللغة العربية حتى يمكن التدريس بهذه اللغة والاستغناء عن المعلمين الأوربيين وللوصول إلى هذه الغاية رأى سعد انشاء قلم للترجمة بنظارة المعارف، او تخصيص مكافأة مالية لكل من يترجم كتابا من هذه الامهات[٣] ولكن هذا الاقتراح لم يلق تجاوبا من دنلوب، ولامن بطرس غالى رئيس النظار مما جعل سعد زغلول يؤكد على ان اللغة العربية مثل غيرها من اللغات، وان التحقيقات فى القضايا امام المحاكم الأهلية تتم باللغة العربية[٤]

والواقع ان التدريس باللغة العربية بالمدرسة كان له ما يبرره خاصة وان استعمال اللغة القومية تيسر للطالب فهم دقائق يصعب على اى لغة اخرى التعبير عنها، وان اللغة العربية كانت لغة القضاء والمحاماة فى المحاكم الاهلية، وانه طالما ان حياة طالب الحقوق بعد تخرجه سيقضيها فى المحاكم التى لاتستخدم الا لغته، فان الاصرار على التدريس فىمدرسة الحقوق باللغة الاجنبية يعنى محاولة طمس الثقافة القومية.

يضاف إلى ذلك انه إذا كان هناك مبررا للتدريس فى المدرسة باللغة الفرنسية بحجة ان القانون المصرى مأخوذ عن الفرنسى، فانه بعد استبدال اللغة الفرنسية بالانجليزية التى يختلف عنها القانون المصرى تماما فانه كان من المنطقى استبدال لغة الدراسة بالعربية خاصة وانها لغة اهل البلاد القومية، كما ان المصطلحات القانونية فى الفقه مأخوذة من الشريعة الاسلامية، وان الفقه الاسلامى لايقل فى احكام الصياغة ولا فى متانة الاسلوب عن الفقه الرومانى.

وعلى اى حال فقد عمل سعد زغلول على تشجيع الوطنيين الأكفاء لشغل وظائف التدريس بالمدرسة فقام بتعيين بعضهم بصفة مساعدين[٥] كما ارسل اربعة منهم إلى اوربا للدراسة.[٦]

---

(١) نفسه، ص ٦٦١.
(٢) مذكرات سعد زغلول، جـ٣، ص ١١٤٩.
(٣) مذكرات سعد زغلول، جـ٢ ، ص ٩٧٢-٩٧٣.
(٤) مذكرات سعد زغلول، جـ٣ ، ص ١١٦٢.
(٥) نفسه، ص ١٣٠٠.
(٦) مذكرات سعد زغلول، جـ٢، ص ١٠١٥، جـ٣ ، ص ١٢٦٦.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان لسعد مواقف اخرى فينتقد الدكتور عبد الخالق لاشين موقف سعد من رفضه تعيين المدرس المصرى مراد سيد احمد بمدرسة الحقوق بحجة ميوله للحزب الوطنى الذى كانت المدرسة بمثابة خلية له، ولرفضه العمل عنده كسكرتير كما ينتقده فى موضوع اعتراضه على استبدال ناظر المدرسة الانجليزى المستر "هل" بوطنى يمكنه ان يدير المدرسة.[١]

وبرجوعنا إلى مذكرات سعد زغلول التى استند عليها الدكتور لاشين يتضح حقيقة ما ذكره د./ لاشين فى ان سعدا اعترض على تعيين مراد سيد احمد لانه رفض العمل عنده فى وظيفه سكرتير، ولكن بالنسبة لكونه من الحزب الوطنى فان سعدا لم يذكر ذلك صراحة بل أوضح ان المذكور كان فى مقدمة المتهورين، وانه كان مغرورا جدا، ويعلن عن نفسه كثيرا، وانه لكون مدرسة الحقوق كانت وسطا هائجا سريع التأثر والانفعال، فانه خشى ان يكون فى تعيين هذا المدرس ما يزيد من توتر الموقف ومن هنا فضل احد المدرسين الفرنسيين لشغل هذه الوظيفة[٢] ومعنى ذلك ان سعدا رغم تشجيعه لتولى المصريين وظائف هيئة التدريس بالمدرسة فانه كان يحاول اختيار الاكفأ والذى لايتعارض تعيينه ومصلحة المدرسة.

وبالنسبة لاعتراض سعد على تعيين ناظر وطنى للمدرسة بدلا من المستر "هل" الانجليزى فالحقيقة انه اثناء انعقاد مجلس النظار بقصر عابدين فى ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ عرضت فكرة استبدال " هل" بسواه من المصريين ممن يمكنه ان يدير المدرسة بحيث لايكون للناظر الانجليزى كلمة بجانبه وكان رد سعد على ذلك ان المسألة صعبة للغاية خاصة وان هذا الوطنى الذى يجعل الاجنبى صفرا بجانبه يلزم ان يكون قويا فى فنه ذا سلطة روحية فيه، وان يكون حسن الادارة جدا حتى تكون له هيبه فى نفوس الطلبه، ونفوذ بينهم، ولا أرى وطنيا جامعا لهذه الصفات الآن.... والرأى عندى إذا كان من الممكن الدنيير ان يستبدل "هل" بانجليزى من اهل الفن كـ "ايمس" فانى اعرف ان له منزلة فى قلوب الطلبة، ومعرفة بفنه، وشهامه فى نفسه فبواسطة نفوذه فى الطلبة يؤثر على اخلاقهم وافكارهم وبواسطة كونه من اهل الفن يسعى لاستبدال الضعيف من المدرسين، ويكون ما يعرضه مسموعا مقبولا"[٣] ومعنى ذلك ان سعدا كان يبحث عن العلاج الشافى الذى ينطبق مع ظروف المدرسة، وليس لتعيين اى وطنى يكون غير قادر على ادارة المدرسة مما يترتب عليه عواقب غير مأمونة يمكن ان تسيئ إلى سمعة المصريين.

---

(١) لاشين: المرجع السابق، ص ١٣٣.
(٢) مذكرات سعد زغلول ، جـ١، ص ٥٢٩.
(٣) مذكرات سعد زغلول، جـ٢، ص ٨٣٠ - ٨٣١.

وبعد ان كثرت شكاوى المسئولين من اثارة طلاب الحقوق للطلاب الآخرين، ودعوتهم المستمرة للاضراب فقد استدعى سعد بعض الطلاب من ذوى التأثير على زملائهم امثال شفيق منصور[١] ومصطفى الشوربجى[٢] ، وامين الرافعى[٣] وغيرهم والقى عليهم الكثير من النصائح مطالبا اياهم بالاهتمام بدروسهم، وتقوية كفاءتهم حتى يستطيعون خدمة بلادهم خاصة وان الكلام فى السياسة لايكون الامم، وانما تتكون الامم بالاخلاق الفاضلة، والمعلومات الكافية لسد حاجتها، كما اوضح لهم انه يعمل لصالحهم وصالح الوطن، وانه قدم لمدرسة الحقوق المساعدات التى ازالت الكثير من اسباب الشكوى.

كما دافع عنها دفاعا كريما فى كثير من المواضيع لتشترك مع الحكومة فى تقرير النظامات، ووضع القوانين، وحذرهم من عواقب قيامهم بالمظاهرات خاصة وان نصوص القوانين تمنع الطلاب من الاشتراك فى المظاهرات والاشتغال بالجرائد وان كل من يفعل ذلك يتعرض للعقوبة، وانه إذا تخلى عنهم فلايكون لهم نصيرا. وفى اعقاب ذلك اللقاء تعهد الطلاب امام سعد زغلول بالاهتمام بدروسهم وترك السياسة جانبا.[٤]

وفى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٠٨ زار سعد زغلول مدرسة الحقوق واعرب عن سروره من سلوك طلبتها فى الفترة الاخيرة، "ونصحهم بالاشتغال بدروسهم وعدم الاشتغال بغيرها".[٥]

كما عمل على مهادنه العناصر المعتدلة من الطلبة والعمل على ضمهم إلى جانبه فى ضرب العناصر المتطرفة تجنبا لخطر انتشار افكارهم بين عموم الطلاب.

وقد ابدى بعض الطلاب استحسانهم لكلامه التى كان له اوقع الاثر فى نفوسهم ورفض البعض الاخر هذا المنطق من سعد واستمروا فى نضالهم من اجل استقلال بلادهم. فاستمرت المظاهرات وكثرت هتافات الطلبة فى كل مناسبة للمناداة بالحرية والاستقلال والدستور مما جعل سعد يهدد كل من يخل بالنظام ليس بالطرد من المدرسة فحسب بل باغلاق المدرسة إذا قام طلابها بالعصيان.[٦]

---

(١) اتهم فى قضية اغتيال بطرس غالى، ومع ان التهمة لم تثبت عليه فقد فصل من المدرسة، وارسله والده للدراسة فى اوربا، وعاد إلى مصر فى عام ١٩١٤ وعندما قامت الحرب العالمية الاولى نفته السلطة العسكرية الانجليزية إلى مالطة، وعاد إلى مصر فى اوائل ١٩١٩ وانضم إلى حزب الوفد، واتهم بالاشتراك فى مقتل السيرلى ستاك واعدم.

(٢) كان عضوا بارزا فى الحزب الوطنى، واعتقل اثناء الحرب العالمية الاولى، وعاد إلىمصر بعد انتهاء الحرب، وافتتح مكتبا للمحاماة.

(٣) كان عضوا فى ادارة نادى المدارس العليا، وتولى رئاسة تحرير العلم والشعب، اعتقل اثناء الحرب الاولى، وبعد ان افرج عنه عمل بالمحاماة، كما انضم إلى اللجنة المركزية للوفد ولكنه اختلف مع سعد عندما قرر الوفد معارضة لجنة ملنر.

(٤) مذكرات سعد زغلول، جـ٢ ، ص ٧٧٠-٧٧٤.

(٥) نفسه ، ص ٨١٦.

(٦) ابو الاسعاد: المرجع السابق، ص ٢٤٨-٢٥١.